الفصل الثامن

خلاصـــة البحـــث

يتبين جليا من البحث السابق أن الدين اليهودى تحول وتغير ردا على ما جوبه به من قبل المسيحيين الأوروبيين ، وقد تقبل نظام الجيتو واستخدمه كى يحافظ على نفسه ويقويها بتطويع جميع الأنظمة والحقوق والواجبات والمشاعر للكيان الجماعى اليهودى .

فلما جاء عصر التنوير واعتنق المسيحيون مبادئه ، رأوا تناقضهم فى كبت اليهود فحرروهم ، وعندما أخذ الأوروبيون يبنون مجتمعاتهم لا على نظام الأسر والكنائس بل على أسس عقلانية مثل المنفعة العامة ، دعوا اليهود الى المساهمة فى هذا البناء على حد سواء .

ولكن سرعان ما تفوق اليهود على الأوروبيين فى هذا السباق الجديد فى عالم التجارة والصناعة والعلم وسيطروا على مراكز القيادة فى جميع المستويات ، وفى نفس الوقت ، راحت الفلسفة الأوروبية تدك صرح العقلانية التنويرية وراح المفكرون والعلماء والفنانون يشيدون قومياتهم على أسس رومانطيقية غالية تعتمد الدم والأرض والتاريخ . ولا مكان لليهود فى الدم أو الأرض أو التاريخ ، فنشأت الحركات اللاسامية وبدأ اضطهاد اليهود يعود الى أعماله البشعة .

وجاءت الصهيونية تؤكد انكماش اليهود على أنفسهم بعد أن فتحتهم حركتا التنوير والتحرير ، وأخذوا يتوجسون خوفا من اندلاع حركات لا سامية . ولم يخطئوا ، قامت الفاشية فى ايطاليا والنازية فى

ألمانيا ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية فأتت على جميع مكاسب الحركتين ، ونتج عن هذا التحام اليهود فى الحركة الصهيونية دفاعا عن أنفسهم من موت محقق وأمل خائب فى المدنية الأوروبية المسيحية .

أما من حيث المبادىء ، فيرى اليهود أن حركتى التنوير والتحرير وان أخفقتا فى النهاية ، فقد أثبتتا أن اليهودى لا يمكن أن يتحمل أثرهما دون أن يؤدى ذلك الى ذوبانه فى القوم الذى يعيش فيهم ، فكلما صدق الأوروبى فى تنويره وتحريره وعالميته وعلمانيته ، كلما ضعف الأساس الدينى عنده وبالتالى ضعف الأساس الدينى عند اليهود . ولذلك رأى معظم اليهود أن الحل لمشكلتهم لن يكون فى التحرير ، فذلك حل يحل المشكلة بتذويبهم .

ولم يكن أمامهم من حل آخر سوى الصهيونية ، لا سيما أن الحرب العالمية وتقتيل اليهود فيها كان لا يعطى مجالا للتأمل أو التخطيط البعيد . ومن البديهى أن اليهود لا يرغبون فى العودة الى أمان وطمأنينة الجيتو . ففى الجيتو استعباد وشقاء كلى بالرغم من التضامن اليهودى الداخلى والوعى الدينى القوى اللذين تطلبهما الجيتو وحققهما بشكل تام .

وبعد أن تحقق حلم الصهيونية الأكبر بانشاء دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ أخذ اليهود يراجعون أنفسهم عن مدى صلاحية الصهيونية كحل لمشكلتهم فاما أن يعتبروا المشكلة منتهية وهذا يقضى على اليهودية كدين قومى اذ تلزمهم الانصهار فى الجسم الغربى القومى الأكبر الذى يحيط بكل مجتمع من مجتمعاتهم الغربية ، أو أن يهاجروا لاسرائيل ويتصهينوا ولكن اسرائيل ليست مضمونة البقاء والسعادة ، فالمئة مليون عربى المحيطون باسرائيل لن يتركوا فرصة للقضاء عليها وبهذه الحالة تظهر مشكلة اليهود من جديد . فما الحل ؟

طالما أن الحل يقتضى عدم الاضطهاد الجماعى فلا رجعة الى

الجيتو . وطالما أنه يقتضى عدم ذوبان اليهود فى العالم فلا رجعة الى التنوير والتحرير والعلمانية التى يتلاشى الدين فيها .

واذا كان لا بد من وجود دولة اسرائيل ، فعلى اليهود غير الاسرائيليين اما الانصهار فى مجتمعاتهم والتخلى عن يهود العالم ، وهذا غير مقبول ، أو الهجرة اليها والتصادم مع العرب تصادما قد يطوح بالوجود اليهودى برمته من وجه التاريخ ، فالمشكلة اذن قائمة ، بل هى على أقصى ما يمكنها أن تكون من الاعضال .

الحل طبعا ، يقضى بأن لا اضطهاد ولا ذوبان على اليهود ولا اعتداء لليهود على العرب ، وهذا بالذات ما حققه ميثاق المدينة الذى أعطاه سيدنا محمد ﷺ لأهل المدينة من مسلمين ويهود ، وما حققته المدنية الاسلامية من بعده ، فاليهود ، فى الدولة الاسلامية : أمة من دون الناس تقوم بنفسها بتحقيق قوانينها وتنتخب رؤساءها الذين يديرونها ويرتبون أمورها متوخين العدالة كما تفهمها قانونهم وتراثهم ، فهم يتمتعون ضمن الدولة الاسلامية بكل ما تمتعوا به من حقوق ومكاسب فى الجيتو ، بل أكثر من ذلك ، فالاسلام يضع سلطة الدولة الاسلامية التنفيذية تحت امرة القضاء اليهودى كى تتحقق الهوية اليهودية فى جميع أبناء الشعب وعلى مر الدهور .

غير أنه ليس فى هذا النظام شيئا من الظواهر البشعة التى فى الجيتو . فليس هناك اضطهاد جماعى ولا فردى ، بل يعيش اليهود بسلام وطمانينة اذا هم أخلصوا للنظام الأكبر الذى يحميهم ويمتعهم بحقوق الحرية والبقاء المستمر الناجح والمحقق للقيم اليهودية . ونظير هذه الحماية يدفعون الجزية ويمكنهم أن يدفعوها اليوم لا كجزية مالية بل كخدمات لا تختلف قط عن الخدمات التى يقدمها المسلمون لدولتهم بما فيها جهاد العدو المشترك كل حسب طاقاته وميوله .

فالاسلام هو النظام الأوحد الذى يحقق لليهود ما يبغون :

أولا : الحرية والبقاء فى سلام .

ثانيا : الكيان الجماعى الذى تتطلبه قوميتهم الدينية .

* * *